المحاضرة الخامسة: التعليميات :انشغالاتها الرئيسة.

ورد في معجم (المفاهيم الأساسية للتعليميات) أنّ التعليميات :« تخصّص بحث يحلّل المحتويات، على أساس أن موضوع التعليم والتعلّم هو العودة إلى المواد التعليمية.

ويسمح هذا التعريف في البداية بالتمييز بين تخصّصات مختلفة:

* التخصّصات التي تحلّل المحتويات من دون الانشغال بالتعليم والتعلّم (مثل الرياضيات واللّسانيات، وعلم الاجتماع والتاريخ).

* التخصّصات التي تحلّل التعليم أو التعلّم، ولا تركّز على المحتويات (مثل البيداغوجيا، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والتربية)»

وقياسا على هذين النوعين من التخصّصات يتبيّن أن التعليميات لا تنتمي إلى أي منهما، بل تجمع بينهما فهي تخصّص يحلّل المحتويات على أساس أنها مواد قابلة للتعلم والتعليم، فتبحث عن الطرائق والتقنيات التي تناسب طبيعة تلك المحتويات من ناحية وخصوصيات التعلم والتعليم من ناحية أخرى .

وحتى تختلف التعليميات عن البيداغوجيا ينبغي ألا تركز على التعلّم والتعليم؛ بل على المحتوى، حتى يتسنى لها البحث عن آليات التعليم والتعلّم النابعة من خصائص المحتوى اللتعليمي.

فبعد أن ركّزت البيداغوجيا والميتودولوجيا على عناصر معينة جاءت التعليميات ليس من أجل تغليب الجانب الابستيمولوجي المتعلّق بالمعرفة التعليميةكما يرى البعض ، بل من أجل دراسة العملية التعليمية من منظور متعدّد التخصصات. وتماشيا مع ذلك فقد تبنّت فكرة المثلث التعليمي ليكون موضوعها الرئيس، أو بعبارة أخرى الهيكل التنظيمي الذي يجسّد مبادئها ومفاهيمها .

مفهوم المثلث التعليمي(Triangle didactique):

يمثّل هذا المفهوم نظرة جديدة إلى العملية التعليمية، وترتيبا مختلفا لمكوناتها، فبعد أن كانت العملية التعليمية ثنائية (قطباها المعلم والمتعلّم) أصبحت تتكون من ثلاثة أقطاب، قطب المعلم ويمثل مختلف النشاطات التي يقوم

بها المعلم داخل الفصل من أجل توصيل المحتويات التعليمية للمتعلّم. وهذا ما يدخل ضمن الجانب التربوي، وقطب خاص بالمتعلّم الذي يستخدم عدة آليات لتلقي تلك المحتويات واستيعابها وهو جانب نفسي.

وأما القطب الثالث فهو المعرفة التي تخضع لعمليات الانتقاء والتنظيم والتحويل إلى محتويات قابلة للتعلّم والتعليم، إنطلاقا من معرفة علمية يغلب عليها الجانب الابستيمولوجي. لتتفاعل كل هذه الجوانب من أجل تشكيل المظهر التعليمياتي وفق ما يصوّره المخطط الآتي:

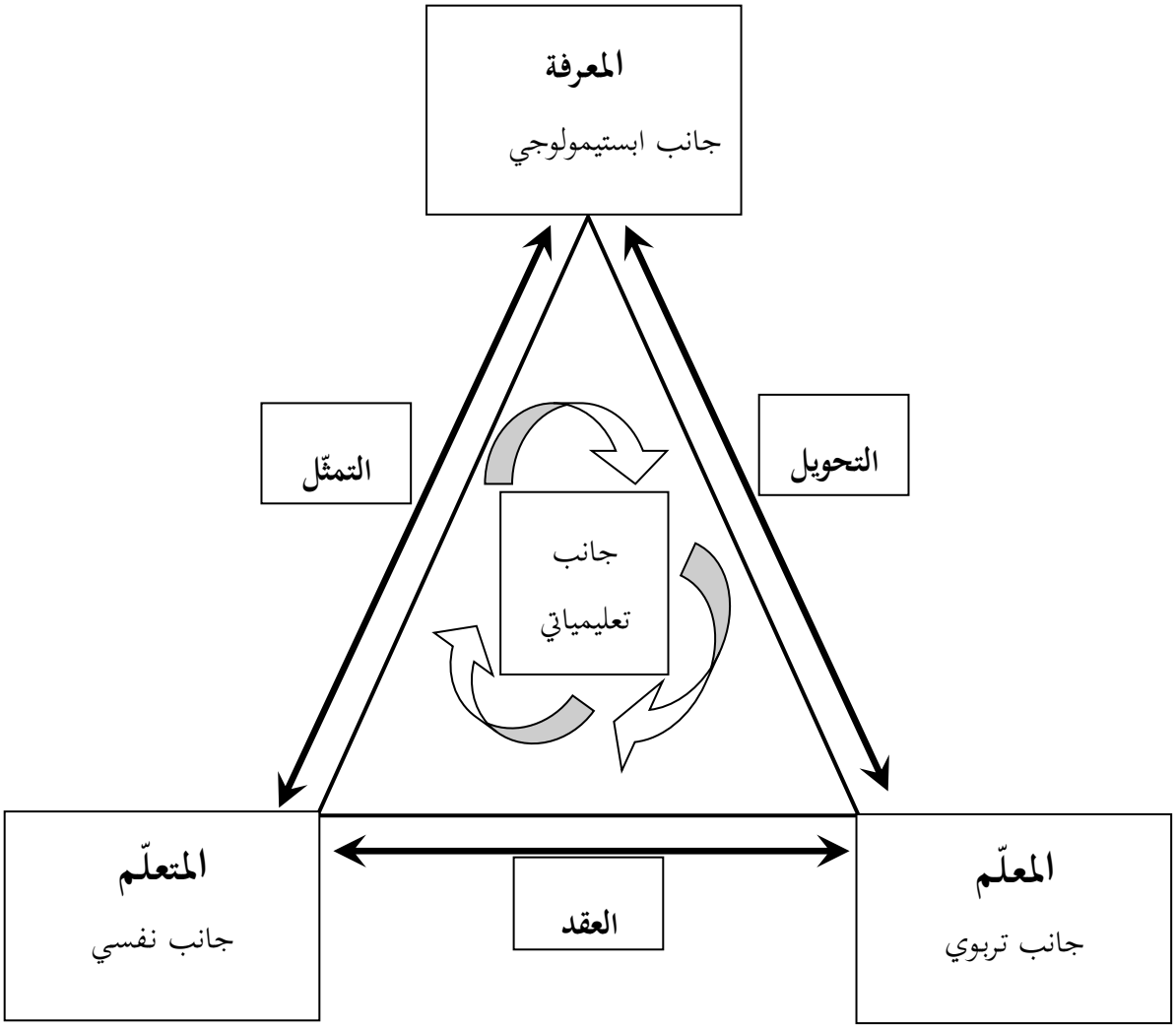

*مخطط يوضّح أقطاب المثلّث التعليمياتي.

إن المظهر التعليمياتي يتجاوز ما هو بيداغوجي ونفسي وابستيمولوجي بسعيه إلى الاهتمام بالعلاقة بين المعلم والمعرفة(التحويل أو النقل)، والمتعلّم والمعرفة(التمثّل)، وأيضا المعلم والمتعلّم(العقد)، وكل ذلك من زاوية المعرفة.

تُعرَف العلاقة بين المتعلّم والمعرفة **بالتمثّل(Représentation)**، وهو «نتاج من جهة، وسيرورة نشاط وبناء للواقع في الذهن من جهة أخرى، ويتم ذلك بما يكتسبه المتعلّم عبر الحواس وعن طريق العلاقات القائمة بينه وبين الأفراد والجماعات خلال حياته، والتي تصبح راسخة في ذهنه». إذ يُطالَب المتعلّم في العملية التعليمية ليس فقط باكتساب المعارف، وإنما بالوصول إلى إيجاد الكيفية المناسبة لتوظيفها في حل مشكل معين في وضعية محددة. وربما بهذا المعنى يصير التمثّل أعلى وأرقى درجات التعلّم بحكم أنه يسمح بالاستفادة من تعلّماته في حياته.

وأما **العقد(Contrat)** فيمثل العلاقة الوطيدة التي تجمع المعلم بالمتعلّم والتي تحكمها قواعد منظِّمة للعملية التعليمية و« هو الذي يحدّد مكانة المتعلّم والمدرس على حد سواء وكذا المعرفة، وينظم مختلف أشكال التفاعلات».

يُظهر مفهومي التمثّل والعقد، أن فكرة المثلث التعليمي تتجاوز حصر انشغالاتها في المعرفة إلى الإهتمام بمختلف التفاعلات والقواعد التي تنظم العملية التعليمية، على أساس أنها نسق متكامل .

وأما النقل أو ما يطلق عليه أيضا التحويل التعليمي (Transposition didactique) فهو:

مفهوم أساسي من مفاهيم تعليميات الرياضيات، يُقصد به العملية التي يتم بها الانتقال بالمعارف الرياضية من مستوى معارف علمية دقيقة ينتجها المختصون إلى مستوى معرفة قابلة للتعليم والتعلّم...وتطرأ على محتوى معرفي معين عندما يُختار كمحتوى للتعليم تحولات، تجعله متكيّفا وقابلا لأن يحتل موقعا ضمن موضوعات التعليم، والعملية التي يتحول بها موضوع المعرفة إلى موضوع للتعليم تسمى نقلا تعليميا. فلقد ظهر هذا المفهوم في كنف تعليميات الرياضيات على يد الباحث "إيف شوفلار" (Y.chovallard) ، ثم انتقل إلى التعليميات العامة ليصير مفهوما أساسا لها، وعنصر تميّزها الذي أكدت به مراعاتها لخصوصية المادة المعرفية عند تعليمها.

يهدف التحويل التعليمياتي إلى دفع المتعلّم نحو فهم المعارف، وذلك بإعطائه أدوات ومفاهيم وإجراءات فهم تلك المعرفة مما يسمح له بالاستفادة منها، كما أنه يركّز على ضرورة الاهتمام بالمعرفة بدلا من المتعلّم؛ لأن التصوّر التقليدي يرى بأن طرائق التدريس والمحتويات تُختار على أساس ما يفهمه ويتقبله المتعلّم، وأما التحويل التعليمي فبتركيزه على المعرفة العلمية يضمن إمكانية الانتقاء الجيد للمحتويات.

وهذه النظرة إلى المعرفة هي التي جعلتنا اليوم نميز بين أربعة أنواع من المعارف: **المعرفة العلمية**(Savoir Savants)؛ التي أنتجها العلماء ولم يلحقها أي تعديل، و**المعرفة المُقرّرة**(Savoir à enseigner)؛ التي تم انتقاؤها من المعرفة العلمية وتنظيمها لتصير قابلة للتعليم، أي أنّها معرفة خضعت لتحويل تعليمي، و**المعرفة المُعَلَّمة**(Savoir enseigné)؛ التي درَّسها المعلم وفق ما يراه مناسبا، **والمعرفة المحصّلة**(Savoir assimiles) من طرف المتعلّم. وتتّحدد العلاقة بين هذه الأنواع في المخطّط الآتي:

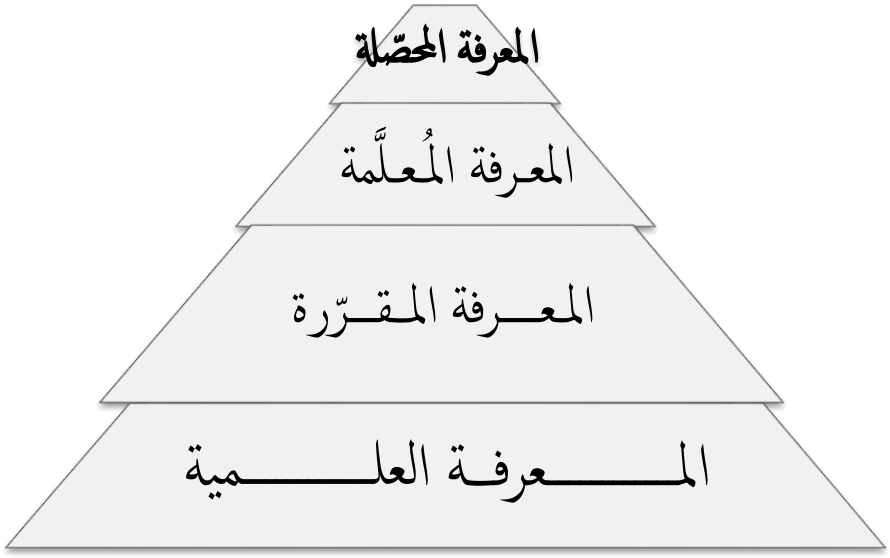

*مخطط يوضح العلاقة بين أنواع المعرفة.

إن التعليميات تنطلق من المعرفة لتدرس التعامل بين المعلم والمتعلّم، فلا تهتم بكل طرف منفصلا عن الآخر بل تبحث عن التأثيرات والتأثّرات الحاصلة بينهم(معلم-متعلم-معرفة)، يقول"مارتناز"(Martinez)في هذا الصّدد :« يجب على المبادئ التعليمية أن تشتمل أيضا على بناء المعرفة المعلّمة من جهة ومن جهة أخرى تأخذ في الحسبان التفاعل بين التعليم والتعلّم؛ فالنشاط التعليمي لا ينحصر في تحويل مواد لغوية إلى محتويات لغوية قابلة للتعليم والتعلّم، ولكن يغطي حتى تفاعل الطرفين الفاعلين(المعلم والمتعلّم)،ضمن شبكة ثقافية واجتماعية وتاريخية».

يتبدّى مما سبق أن موضوع التعليميات تحكمه اعتبارات يسوق أولها ثانيها بطريقة تؤكد على وحدتها، وعلى تعاونها في تشكيل ملامح وحدود الموضوع، وهي:

– الدراسة العلمية للعملية التعليمية وهي تمثّل الإطار المنهجي.

– نقطة التركيز في هذه الدراسة هي المعرفة باتخاذها زاوية تنظر بها إلى العملية التعليمية.

– اعتبارها للمثلث التعليمي نظاما تدرس جميع عناصره وجميع العلاقات التي تربط بينها من زاوية المعرفة.

وكاستنتاج عام، ما يمكن تسجيله في موضوع التعليميات أنها لا يمكن أن تُختزل في دراسة طرائق التعليم فقط؛ بل تهتم بدراسة وتقويم جميع مكونات العملية التعليمية في إطار تفاعلي وبذلك فإن موضوعها يتوسع ليهتم بـ:

* تقديم مقاربات وطرائق وتقنيات، وتطبيقها في الميدان.

* تقويم تلك النتائج باستمرار على ضوء المتغيرات والمستجدات.

*تحليل عمليتي التعليم والتعلم من أجل كشف مختلف العناصر والعلاقات الفاعلة فيهما.

وعلى ضوء ما سبق فإن الطبيعة المميزة للتعليميات تتجلى في أنها تفاعل علمي يؤلّف بين التنظير والتطبيق والتجريب.